تلقي التفكيك وتجليه في النقد المغاربي المعاصر
محمد شوقي الزين وقراءاته الجذمورية أنموذجا

Receive deconstruction and its manifestation in contemporary Maghreb criticism
Muhammad Shawqi Al-Zein and his rhymes readings as a model

وسيلة مجاهد[1]*، بدرة قرقوى[2]

[1] جامعة الجيلالي اليابس– سيدي بلعباس، الجزائر، wassilasilla94@gmail.com

[2] جامعة الجيلالي اليابس– سيدي بلعباس، الجزائر، badra84.ost@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/04/30 تاريخ القبول: 2021/05/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

ملخص: تمكن محمد شوقي الزين من ابتكار أسلوبه الخاص للتوغل في أدغال النصوص الدريدية، ابتكار شكّل لبّ الإبداع الذي دعا إليه جاك دريدا، إبداع لا يَخلق ولا يُخلق من عدم، بل يرتبط بالكشف والاكتشاف، الذي يعثر على شيء موجود لكنه غير معروف أو يُستخدم بطريقة غير مألوفة. تجلى أسلوب محمد شوقي الزين الإبداعي في استضافته للمعارف في غير حقولها، وقراءته الجذمورية لتلك المعارف، مما جعل تلقيه للتفكيك مُبتكَرا ومُبتكِرا لأساليب جديدة، وهذا ما حاولنا الوقوف عليه في ورقتنا البحثية هذه.

كلمات مفتاحية: التفكيك؛ النقد المغاربي؛ شوقي الزين؛ الجذمور؛ تجلي.

Abstract: Mohamed Shawky Al-Zein was able to invent his own method to penetrate into the jungles of Dredid texts, an innovation that formed the core of the creativity called for by Jacques Derrida, an innovation that does not create or is created out of nothing, but is related to discovery and discovery, which finds something that exists but is unknown or is used in an unfamiliar way. . Muhammad Shawqi Al-Zain's creative style was evident in his hosting of knowledge in other than its fields, and his rhizome reading of that knowledge, which made his reception of deconstruction innovative and innovative for new methods, and this is what we tried to stand on in our research paper.

Keywords: deconstruction; Maghreb criticism; Shawqi Al-Zein Rhizome; Transfiguration.

***المؤلف المرسل**

1. مقدمة:

بسبب المثاقفة والترجمة والاحتكاك بالغرب، خاصة احتكاك المغرب العربي بالثقافة الفرنسية نظرا للعوامل التاريخية المعروفة، وأولها الاستعمار، فُتح مجال الحوار الثقافي مع الآخر، وتبادل الأفكار والنظريات والفلسفات، إذ من الطبيعي أن يكون هناك نوع من التأثير والتأثر. ومن الطبيعي أن تترك شهرة جاك دريدا أثرها في النقاد والباحثين المغاربة.

منذ الثمانينيات بل وقبلها أيضا بدأ التفكيك يخطو خطواته ويتوسع في المغرب الكبير توسعا شهده من قبل في العالم العربي، حيث حظي بالكثير من الدراسات والأبحاث والمجلات التي ولّته عنايتها محاولة التعريف به، وقد كانت البداية مع مجلات وجمعيات نذكر منها على سبيل المثال، رابطة كتّاب الاختلاف في الجزائر، ومجلة مواقع التي أسسها فريد الزاهي عام 1992، قام فيها بترجمة العديد من حوارات جاك دريدا. مع التسعينيات زاد الاهتمام به وبفلسفة الاختلاف، فعمل البعض على ترجمة بعض أعماله، في حين قام البعض بإعداد كتب ومؤلفات ومقالات حوله، وبدأت تعقد ندوات تتطرق لأفكاره. من أهم المشتغلين والمهتمين بهذا الحقل نذكر على سبيل المثال لا الحصر: عبد الكبير الخطيبي الذي كان صديقا لجاك دريدا، إلى جانب محمد نور الدين أفاية، عبد السلام بن عبد العالي فتحي التريكي، عبد الملك مرتاض، محمد أركون، بختي بن عودة محمد شوقي الزين، ناجي العونلي، و محمد بكاي.

لقد عاد التفكيك إلى المغرب العربي، وشهد نوعا من الاهتمام الذي جاء على شاكلة ترجمات، دراسات فلسفية وأخرى نقدية، ممارسات على قلتها وتنظيرات. وقد تباينت حوله الآراء من منبهر مؤيد، وآخر معارض نظرا لجذور التفكيك اللاهوتية، إلا أنّ هذا

الأخير استطاع بشكل أو بآخر التعايش في الساحة النقدية المغاربية آخذا حيزا ولو بسيطا من خطاباتها، حيّزا جاء في أغلبه نظريا، يحتاج إلى دعمه بالكثير من الممارسات التطبيقية.

إنّ استقبال وتلقي التفكيك في الخطاب النقدي والفلسفي المغاربي، لم يكن فقط عن طريق الترجمة، أو عن طريق الوسائط المتمثلة في المؤلفات والدراسات المكتوبة حوله بالعربية ، بل عرف أيضا تلقيا مباشرا عن طريق الصداقات المغاربية المنعقدة وجاك دريدا وعن طريق الباحثين الذين حضروا دروسه، والذين ركبوا غمار قراءة أعماله بلغتها الأم.

يعد محمد شوقي الزين من أهم المشتغلين على التفكيك، وقد تمكن من فتح باب الصداقة مع جاك دريدا، وتبادل أطراف التواصل معه، حتى تركت أعمال فيلسوف الهوامش أثرها الواضح على دراسات وأبحاث شوقي الزين، الذي سعى إلى الاقتراب من فلسفة التفكيك، ومقاربتها بعدة صفائح نقدية، وقراءتها من زوايا مختلفة، قراءات كثّفت من التفكيك وأعطته أكثر من صبغة، وصيغة جمع(تفكيكات). جاء هذا البحث بغية الإجابة عن عدة إشكالات من أهمها: كيف استقبل محمد شوقي الزين التفكيك في دراساته وأبحاثه؟ ما منظوره للتفكيك؟ وماهي الآليات التي اعتمدها لقراءته والمقاربات التي قاربه بها وقرّبته منه؟

نحاول من خلال هذه الإشكاليات بلوغ مجموعة أهداف يمكن تلخيصها فيما يلي: معرفة كيف عرف محمد شوقي الزين التفكيك وعرّف به، وتتبع مسار فلسفة فيلسوف الهوامش في دراساته وأبحاثه، إلى جانب معرفة أثر الصداقة التي جمعته بدريدا على تلقيه للتفكيك. لبلوغ هذه الأهداف وللإجابة عن الإشكاليات المطروحة ارتأينا الاعتماد على التأويل كآلية تمكننا من الاقتراب من دراسات محمد شوقي الزين، كما تمكننا من تقديم تفسيرات توضح طريقة قراءة محمد شوقي الزين للتفكيك، التأويل الذي لطالما استثمره شوقي الزين في قراءاته ومقارباته، أي أننا سنعتمد على طريقته في القراءة والتقصي لنقرأه بها.

2. محمد شوقي الزين ولقب فيلسوف:

تمكّن محمد شوقي الزين الكاتب والمترجم والباحث الأكاديمي الجزائري، بفضل دراساته ومؤلفاته الغزيرة لا من ناحية العدد، فقد بات من السهل التأليف والنشر في وقتنا الراهن، بل من ناحية القيمة المعرفية والزخم الفلسفي، من انتزاع شهادة من العالم العربي، تشهد وتُقر بأنه جدير بلقب فيلسوف، هذا الأخير الذي يعرف تشنجا في عالمنا الناطق بلغة الضاد، في حين يجد ليونة في العالم الغربي، فالعربي في الوقت الراهن من السهل عليه نعت أي اسم غربي بفيلسوف، حتى وإن لم يكن كذلك، في حين يجد صعوبة بالغة في منح أي اسم عربي هكذا لقب، لمجرد أنه عربي. لقد ترسخ في اللاوعي الجمعي بأن العربي لا يمكنه أن يفكر، أو يطرح الأسئلة والإشكالات العميقة، كما لا يمكنه طرق باب التفلسف كصناعة للمفاهيم، ربما لأنّ الثقافة في جذورها العربية العميقة ارتبطت بالزراعة، أو ربما عاد ذلك إلى النعوت اللصيقة بالفكر العربي، المتمثلة في الركود والجمود، التبعية والتكرار ونسخ الدراسات الغربية بلا تدبر، فهو مجرد مستهلك لا يعرف سبيله للإنتاج.

لقب فيلسوف الذي افتكه محمد شوقي الزين من مخالب الفكر العربي الحاقد نوعا ما على أبنائه، أوكل إليه مهمة صناعة المفاهيم، يقترب بواسطتها من المشهد الثقافي الفلسفي الراهن، قصد استجوابه وتعريضه لشتى أنواع المساءلة، المعرية لأعماقه والكاشفة لمآلاته واتجاهاته. فجاء على شاكلة مفاجأة، تسعى إلى تغيير الفكرة السائدة والصورة المرسومة عن الفيلسوف العربي المعاصر، مفاجأة تطمح إلى إخراج الفلسفة الراهنة من دورها الاستهلاكي المهلك لها، إلى دوائر الابتكار والإبداع إبداع لا يُخلق من عدم، بل يأخذ سُبلا جديدة وطرقا مختلفة، تُلخّص شروط الإبداع وتصف ملامحه.

3. محمد شوقي الزين وجاك دريدا:

يعد محمد شوقي الزين أحد المشتغلين في الحقل الفلسفي المتعلق بالتفكيك، إذ نجده يتخذ في دراساته وأبحاثه، كتابات دريدا كمدونة صالحة للاشتغال، وقد اعترف له بذلك جاك دريدا بنفسه، في شهادة تحدث فيها عن الفيلسوف العربي/ الجزائري، ليس هذا فحسب بل أقر بأنّه فيلسوف من النوعية النادرة.

الصداقة هي الرابط الجامع بين شوقي الزين وجاك دريدا، فقد التقيا في فرنسا، أثناء تواجد الفيلسوف محمد شوقي الزين هناك، الذي حرص على حضور حلقات دروس دريدا ومحاضراته وملتقياته، إلى جانب المبادلات الفلسفية وكذا تقاسم الذاكرة والعواطف الجزائرية[1]، وتبادل الرسائل أيضا. يحضر التفكيك وشبح دريدا في أغلب دراسات وأبحاث محمد شوقي الزين إن لم نقل كلها حضورا متفاوتا بحسب ما تقتضيه الضرورة.

عمل شوقي الزين على التعريف بفلسفة دريدا، إلى جانب استثمارها في قراءة النصوص والمدونات المختلفة، بل وأكثر من ذلك، استثمارها في قراءة التفكيك نفسه، وفك طلاسمه. فاقترب منه بوسائل وتقنيات مختلفة أهمها التأويل، ليؤول التفكيك إلى مآلات جديدة.

4. وقفة مع التفكيك:

أحدث التفكيك كمصطلح جلبة واسعة النطاق رافقت شهرته، كما لم يسلم من التعرض لسوء الفهم، لم تتوقف مصائبه عند هذا الحد، بل تعرض أيضا لتمزق على مستوى الترجمة العربية له تشتت وتشظى وتشرد من مقابل عربي إلى آخر، ومن مترجم إلى آخر لكن رغم ذلك بقي التفكيك المقابل العربي الأكثر شيوعا واستخداما، تكاثر المصطلحات واختلافها، أثر على المفاهيم والتعريفات التي طالت التفكيك، فقد تعددت بتعدد مستقبليه ومتلقيه، كلا يُعرّفه بمنظوره الخاص وانطلاقا من خلفيته، ليبقى القارئ العربي أو الباحث الذي يتلقاه عن طريق الوسائط المترجمة أو الأبحاث المكتوبة حوله بلغة الضاد في حيرة من

أمره، آملا في توحيد تلك الجهود ذات يوم، كي يتجاوز التفكيك أزمته في الفكر العربي والمغاربي.

تعرّض التفكيك لهكذا أزمات، وللكثير من سوء الفهم والظن في نواياه، سببه طبيعة التفكيك المتمنعة والعصية عن كل تعريف وضبط، لكنه ليس السبب الوحيد كي لا يتم اتخاذه كحجة لتفسير سوء الفهم، هناك أيضا انعدام المرونة في التعامل مع المصطلحات المثيرة للجدل، وقسوة مصحوبة بخشية وخوف من هذا الجديد القادم من الضفة الأخرى، لكأنّه وحش لغوي مهمته إحداث شرخ في نظام الأعراف والعقائد السائدة، دخيل ينبغي الحذر منه والسعي إلى قمعه وإقصائه والزج به في السجون كي يبقى بعيدا.

التفكيك المترادف عنوة مع الهدم والتدمير، خلّف الكثير من القلق والفزع، وبات يُستخدم في غير موضعه، ولأغراض تشهيرية لا تمت له بصلة[2]. فوقع في قفص الاتهام ولم يعرف سبيلا للنجاة مما دفع محمد شوقي الزين إلى حمل مسؤولية العودة إلى المعاجم العربية، لعله يعثر على برهان يعيد للتفكيك حريته في التنقل بين أطراف الثقافة العربية متصالحا معها.

أشار محمد شوقي الزين إلى أنّ فقه المفردة في لسانها العربي، ليس كفقهها في اللسان اللاتيني، لذلك لجأ إلى لسان العرب لابن منظور، الذي عرض دلالة مفردة ف ك ك بناء على الفعل فكّ ومصدره التفكيك، فوجدها تعني الفصل بين الشيئين، وتخليص بعضهما من بعض. التفكيك على وزن التفعيل، الثلاثي المزيد بحرف، أي ما يمكن تفعيله أو تنشيطه أو بعث الحركة فيه. كما عاد إلى الفعل فكّك ووجد أن مصدره هو التفكّك، على وزن التفعّل، الثلاثي المزيد بحرفين؛ أي ما يتفعّل بضغط داخلي، أو حركة ضمنية دون فاعل

خارجي. يحتاج التفكيك برأيه إلى ممارسة وتمرين وتدريب، من أجل تحريك وحدة ثابتة، أو منظومة صلبة، يتخذ هذا التحريك شكل النقد والإزاحة والتقصي.

أما التفكّك فلا يحتاج إلى كل ذلك، لأنّه وحدة ثابتة تشتغل على ذاتها دون علمها اشتغال سيجعلها تستنفد كل طاقاتها. هذا الاشتغال الذاتي الداخلي، يستدعي مفردة الأوفبونغ aufhebung اللايقينية الدالة على الشيء ونقيضه من إلغاء وحفاظ، حاول شوقي الزين إيجاد مقابلات عربية لكنه اعترف بصعوبة ذلك بل واستحالته، استحالة لم تجعله يستسلم بل حاول التنقيب عن مفردة عربية تقارب المفهوم الألماني ولو قليلا، مؤدية وظائف تُماثل وظيفة الأوفبونغ، فوجد في التنفية من الجذر ن ف ي ما قد يفي بالغرض، لأنها مفردة تحتمل النفي والنُفاية بمعنى ما يتبقى من الشيء أو الأمر، كالأثر والبصمة والعلامة، كما فكّر في مفردة أخرى تمثّلت في اللُغوة، وتعني ما هو زائد في التعبير، وما هو ساقط منه لا يُعتد به، وبالتالي إلغاؤه. مفاد هذه المحاولات مُقتربة من الأوفبونغ واللامطابقة له، أنّ الأمر المُشتغل على ذاته، ينطوي على المختلف، مما جعله في حالة تخلف، نفاية وإلغاء ونقصان لا يكتمل، وبانعدام اكتماله يضمن استمرار الحركة، وبالتالي اكتمال لا ينفك عن الاستحالة.

ضمان استمرار الحركة بفضل النقصان المستحيل اكتماله، جعل التفكّك يرتبط عضويا ووظيفيا بالتفكيك بمفهومه اللغوي، ومنه فإنّ التفكيك الدريدي بريء من كل تلك المفردات والمرادفات ذات الطبائع الوحشية كالهدم والتدمير والتخريب، ولا يُشهّر لأي شي آخر، بل هو عبارة عن عمليتان متكاملتان، الأولى داخلية ترتبط بالتفكّك تبعا للغوة المميّزة لكل حقيقة وجودية أو لغوية، والثانية خارجية تتطلّب تدخّل الرؤية المتبصّرة والمتبحرة في إعادة تنظيم وحدة فكرية أو سياسية أو ثقافية[3]. بعد العودة إلى المعجم وتقديم معاني لغوية جديدة للتفكيك، عاد محمد شوقي الزين بعد ذلك إلى المعاني والاستعارات الجغرافية الجيولوجية، كي يستنبط كنه التفكيك كممارسة، معتمدا في ذلك على مفردات تمثّلت في

الصفيحة plaque والتشكيل الجيولوجي، إلى جانب التشكيل الأصلي، لأنّ مبتغاه هذه المرة جاء كمحاولة لقراءة ما يقع تحت أرض التفكيك، ليس المقصود هاهنا العمق مقابل السطح بل المتواري أو اللامفكر فيه أو الممتنع التفكير فيه، القابع في البنى التحتية المظلمة، ذات الحركة الدؤوبة والنشاط الحيوي[4].

الحركة الدؤوبة تذكرنا بتلك المستمرة المتعلقة بالتفكّك، فإذا كان التفكيك صفيحة تقع تحت الأرض، لها طاقات زائدة تفسر نشاطها السفلي، فإنّ ذلك له تفسيره اللغوي أيضا المتمثل في اللغوة وبالتالي التفكّك. تلك الطبقات المغمورة لا تنفك عن التحول والتبدّل والتداخل والاحتكاك مع صفائح أخرى، وتتجلى وظائفها المخفية والمتوارية في ما هو فوق الأرض من مشاهد ووقائع وحوادث، أي مثلما يتجلى المخفي في الجلي ومثلما يتحدّد نور الوعي بعتمة اللاشعور[5]. هذا الوعي الغائب عن التفكّك الممارس بمهامه الداخلية المتعلقة بذاته دون أدنى دراية بذلك، يمنحه له التفكيك؛ إذ يُساعد هذا الأخير التفكّك على الوعي بنفسه، مزودا إياه بالحركة المساعدة له على استنفاد طاقته، كما يلفت انتباهه إلى تلك الحركة ويدفعه للخروج عن ذاته، والتجسّد في تمظهرات نصية أو فعلية أو فكرية، وبالتالي الوقائع[6].

إذن علاقة بين ما هو لغوي وما هو جيولوجي، لأنّ ما تحت الأرض هو غور البداهات، وعتمة الدلالات التي ينقب عنها التفكيك ويسعى إليها، عتمة تتخذ هي الأخرى شكل صفيحة أو شكل طية pli، مما يعني أنّ الدلالات المعتمة صفيحة شأنها شأن التفكيك بل وتعتبر مكانه المفضل الذي يمارس فيه استراتيجيته، فبعدما حفر محمد شوقي الزين عميقا في ما هو تحت الأرض، وصل إلى أنّ التفكيك عبارة عن استراتيجية في القراءة هدفها النص، تجند الحنكة والمهارة. في مفردة استراتيجية stratégie وفي مفردة حنكة

stratagéme يمكن استشفاف عنصر الطبقة state كاستعارة جيولوجية تعبّر عن تلافيف النص وطبقاته التحتية[7]، الآتية على هيئة طيات تأخذ أشكالا غرائبية. مما جعل التفكيك يُنعت بالغرائبي، أُعجب البعض بطابعه المختلف، كما أثار اشمئزار ونفور البعض الآخر.

ذهب محمد شوقي الزين بعيدا كي يقترب من مفهوم التفكيك وفك طلاسمه، فنقب في اللسان العربي واستجوبه، كما راح في رحلة جغرافية جيولوجية عميقة، ليصل إلى عمق التفكيك ويفك سره. هذا الانتقال من المعجم إلى الجيولوجيا ولّد خيوطا تربط هذا بذاك بل وتفسره أيضا.

5. القراءة بالقراءة وبذور الاحتمالات:

من خلال مفهوم محمد شوقي الزين للقراءة، يمكننا معرفة الطريقة التي يقترب بها من نصوص دريدا، طريقة ميزته وحده، وجعلته يقرأ دريدا بأكثر من عين، ويُصغي لهسهسات نصوصه بأذن ثالثة، تلتقط من الهمس صمته. فالقراءة بالنسبة له اصطياد في المناطق المحظورة من الكتابة، تتجلى هذه المناطق في انحراف الرؤية عبر الصفحات، وفي التحريف الذهني للمعنى الأصلي[8]. إذن فمحمد شوقي الزين صيّاد ومُحرّف أيضا، لكن تحريفه ذو نوايا حسنة، لأنه يُحدث إزاحة في الهيكل الاستراتيجي للكتابة، بعد التسلل خلسة إلى فضائها المُطوّق والمحروس، لتنحرف الكتابة عن نهجها الموضوع، فتُحرّف معناها المتجسّد والمطبوع بالدلالات التكتيكية الفارة والعابرة، ليتخلص نتيجة ذلك القارئ من مهمته الاستهلاكية للكتابة، التي يلعب فيها دور المنفعل، وليتم ترقيته إلى مصاف فاعل ومؤسّس للكتابة ذاتها.

هذا الاصطياد والتحريف والإزاحة لم يأت بغرض حل القارئ محل الكاتب، ولا يحمل نوايا الانقلاب عليه وأخذ مكانه، بل تكمن مهمته في تعديل القصدية الكامنة في

النص، بأن يُعيد امتلاكها وتوجيهها حسب أغراض الذاتية، إنها نوع من الاختلاس الخاطف للبقايا، يصنع دلالات جديدة تخرج عن طور المعنى. فعلى القارئ أن يستخدم مهاراته في الانحراف عبر الصفحات، ويُسافر بخياله التأمّلي سفر ينطلق من الكلمات، ليتجاوز الأمكنة على المساحات المكتوبة والمرتبة بشكل عسكري[9].

هذا السفر عبر الكلمات شكّل منطق تعامل محمد شوقي الزين مع النصوص بصفة عامة ومع فلسفة التفكيك على وجه خاص، إذ نجده يعتمد في قراءته للنصوص على التشاكل الصوتي واللفظي بين الكلمات، سواء العربية أو الأجنبية(الألمانية– الفرنسية– الإنجليزية...) ليصل إلى ما هو أبعد منها. التشاكل لعبة سبق وأن لعبها دريدا، فشوقي الزين يحاول الاقتراب من التفكيك بقواعد لعبته المفضلة. الغرض من التشاكل كان نقل مصطلح من رحابه إلى رحاب أوسع بل ومغاير، وقد ساعده ذلك في نقل التفكيك من مكان إلى أماكن أخرى، وإن كانت طبيعة التفكيك ترحالية، فإنّه مع شوقي الزين بات ترحاله مضاعفا، يزور الأماكن القصية، ويقف على منصات لا ينبغي أن يقف عليها.

تعامل الفيلسوف الجزائري مع الكلمات لم يقف عند حدود التشاكل، بل تجاوزه أيضا إلى القلب، قلب ترتيب حروف الكلمات ليصل إلى تخريجات جديدة، تساعده على إزاحة المعنى الأصلي والانفتاح على معاني أخرى مختلفة. لم ترتبط الإزاحة بالكلمات والمصطلحات فقط بل بالصفائح النقدية أيضا، حيث عمل على زحزحة صفيحة التفكيك وإزاحتها قصد فتح باب احتمالات اللقاء والاقتراب والاحتكاك بصفائح أخرى بعيدة كالتصوف والتأويل والعرفان، وقد تمكن من ذلك نظرا لطبيعة التفكيك التكتونية القائمة على الحركة. يظهر جهد شوقي الزين في الإزاحة بدءا من كتابه الإزاحة والاحتمال، ولو أنّ كتاب تأويلات وتفكيكات قد اعتمد الأسلوب نفسه، لكن كتاب الإزاحة والاحتمال أبرز أكثر تلك الإزاحات

المنفتحة على الاحتمالات، الحاملة لبذور إزاحات أخرى جديدة، ليستمر الأسلوب في جميع إصداراته.

إيمانه بالقراءة التداخلية والتفاعلية لا الخطية، مكنته من خوض غمار الإزاحة وسمحت له بقراءة الشخصيات والأفكار والمذاهب، بالنتائج المعرفية والمفهومية التي جناها من قراءة الشخصيات والأفكار والمذاهب الأخرى، فالفكر من منظروه يتغذى من ذاته، أيا كانت الاختلافات المذهبية والجغرافية والتاريخية والثقافية. فهو يقرأ انطلاقا من قراءاته السابقة، قراءة تنطلق من القراءة لتصل إلى قراءة جديدة، يتمثّل رهانه في تحويل الاكتناز الكمي إلى تفكير نوعي، شغله الشاغل إيجاد رابط منسجم بين هذا الشتات المعرفي، لتتشكّل بعد ذلك الرؤية الخاصة والأسلوب، الفردي المُعبّر عن أصالة الكاتب[10]. تمكن محمد شوقي الزين من ابتكار أسلوبه الخاص، وطريقته الخاصة للتوغل في أدغال النصوص الدريدية ابتكار شكّل لُب الإبداع الذي دعا إليه جاك دريدا، إبداع لا يخلق ولا يُخلق من عدم، بل يرتبط بالكشف والاكتشاف، الذي يعثر على شيء موجود، لكنه غير معروف، أو يُستخدم بطريقة غير مألوفة. وقد سلّط دريدا ضوءا جديدا على مفهوم الإبداع، وجعله ينبعث من التدخل في منطقة التوتر الحرج، ويهتم بتطوير انفتاحات تتفادى الغلق، وتنتصر للتعددية[11]. هذه الانفتاحات هي التي جعلت محمد شوقي الزين يستضيف المعارف والقراءات الأخرى في غير حقولها، تماما كما فعل مع التفكيك. ذلك مربط الإبداع الذي جعل تلقيه للتفكيك مُبتكرا ومُبتكِرا، وقراءته له حصيفة.

وجب التنويه إلى أنّه لم يبتكر نظرية بل أسلوبا في القراءة والتحليل حيث يقول:" فليس من الأجدى أن يتوهّم الشخص ابتكار نظرية فلسفية كي يوهم غيره بأنه فيلسوف، بل الأهم هو ابتكار أسلوب في التحليل والقراءة، والفلسفة هي اليوم مسألة أسلوب وليست مسألة نسق أو منظومة"[12]، وما الأسلوب إلا صاحبه.

6. الجذمور وقراءة ما تحت التربة:

سنحاول استعارة أسلوب محمد شوقي الزين، كي نقترب أكثر من طريقة قراءته للتفكيك ومقاربته بالتصوف والعرفان، إذ سنقرأ قراءته انطلاقا من مفهوم الجذمور الذي استعاره جيل دولوز gilles deleuze وفيليكس غوتاري Félix guattari من علم النبات، فالجذمور rhizome نوع من النباتات، تنتمي إليه النبتة المعروفة باسم اليهودي التائه، والمتميزة بغزارة الإنتاج، أحالتنا هذه المعلومة النباتية مباشرة إلى جاك دريدا غزير الإنتاج، واليهودي التائه بلا مستقر. تنبثق هذه النبتتة من الأرض لتمتد فوق منطقة واسعة، على شكل نباتات منفصلة ومتجاورة لكأنها أرخبيلات. الانبثاق من الأرض يذكرنا بما تحت الأرض وبالطبيعة التكتونية للتفكيك بوصفه صفيحة جيولوجية، كما تذكرنا بانتشاره واسع النطاق والأرخبيلي، إذ نجده هنا وهناك.

النبتة المنفصلة ظاهريا، في عمقها ليست كذلك، لأنّ أجزاءها مرتبطة تحت الأرض.اكتسب الجذمور دلالة فلسفية عند كل من جيل دولوز وصديقه فيليكس غوتاري، وباتت النظير الفلسفي للمصطلح النباتي، تدل على أنّ كل الأشياء في العالم عبارة عن جذامير مترابطة ومتداخلة وإن لم يظهر عليها ذلك.

أحالنا الجذمور إلى دريدا كما أحالنا إلى القراءة الشوقية المصابة بشوق الاكتشاف والكشف عن الحجب. انطلق شوقي الزين من التأويل ، بل وأعطاه موقعا محوريا في مقارباته بين نصوص دريدا والشيخ الأكبر ابن عربي وميشال دوسارتو. لم يعتمد على التأويل كأداة للتقصي والكشف فقط، بل كوسيلة للاستفسار والاستفهام حول مبادئ الأمور أوّلها، ومقاصدها؛ مآلها، ويرى أنّ أهمية التأويل تكمن في قراءة النص كمسار أو سيرورة

انطلاقا من جذوره الاشتقاقية وبذوره الرمزية، وانتهاء بأهدافه العملية وأغراضه الفكروية، فهو يواكب النص من لحظة بروزه حتى سياقات تأثيره. البذور والجذور مفردات لها علاقة بعلم النبات تماما كالجذمور ، وشوقي الزين كان ينبش في التربة عن الجذور المترابطة، رغم ما أعلنت عنه وأوهمت به تلك الصفائح من استحالة التلاقي، أو التحاور.

باعتماده على القراءة الجذمورية التأويلية يبحث محمد شوقي الزين في نصوص دريدا وابن عربي ودوسارتو، عن الأمر الذي منحها القوة النظرية والكثافة اللغوية وجعل منها مرايا بعضها لبعض، هكذا تمت قراءة دريدا بابن عربي من خلال دوسارتو، قراءة لا تهدف إلى تحقيق تطابقات بل لاستخلاص مفاهيم[13].وقد أعطى في قراءته لدريدا أولويات لكل من الأصل، الضدية، الهوية، نظرا لحضورها الكثيف في نصوص جاك وقراءاته للفكر الغربي فالأصل كما يذهب هو لا ينفك عن العودة في شكل أشباح، تنتاب الوعي والحاضر والحضور يرتبط الشبح أيضا بالآخر الملازم للذات كشبحها، حتى انطبعت الهوية بالغيرية لتغدو الضدية حقيقة نصية ووجودية لا يمكن إنكارها أو التنكر لها. هذه العناية بالأصل والاهتمام به عند دريدا، وجده شوقي الزين عند ابن عربي أيضا خاصة عنايتهما بالأصول اللغوية، وباللغة كنسق ألسني واحتمال تأولي، عناية وجدت بوادرها عند ميشال دوسارتو أيضا عندما عد الأصل كمنطلق تنبثق منه الوقائع والأفعال، ويتبدى في الحدث المُحدث لقطيعة مع النظام الزمني السابق ليُهيئ لإدراكات وتأويلات، يشترطها بقدر ما تمنحه الديمومة والخلود[14].

بالتأويل أيضا تمكن محمد شوقي الزين من تفسير غرائبية التفكيك، والرد على كل من أساء فهمه، معتمدا في قراءته لهذا الجانب الغرائبي والذي صبغ التفكيك حد وصفه بالغامض والصعب والهذياني، على الباروك كفن قوامه الحركة. فالتفكيك يعيش زمنا باروكيا مستمرا.

ترجع غرائبيته في تلافيف نصوصه اللانهائية، وفي معالجته لمواضيع مسكوت عنها، وفي نحته أيضا لمصطلحات ولعناوين لا تقل غرابة، مولدة للحيرة وسوء الفهم، فالباروك لا نهائي، ملتوي منعرج ومرآوي، يأخذ شكل المحارة الحلزونية، المفيدة للف والدوران، حد الدوخة الشبيهة بالحيرة الصوفية، وهذه نقطة أخرى يلتقي فيها التفكيك بالتصوف تحت مظلة الباروك. يكشف هذا الأخير عن الوجه المشوه للكلاسيكي القائم على العقل والبداهة[15]، ويدفع التفكيك للاشتغال في المناطق العمياء، المعتمة والمشوهة، بغرض فضح تلك الأقاصي المسكوت عنها، والمقموعة تحت سلطة نور أضاء الوجه الجميل، وأخفى القبيح.

خاتمة:

تعددت ملامح التفكيك في الفكر المغاربي بتعدد قرائه والمشتغلين عليه، كما اختلفت الآراء حوله وتباينت طرق استضافته وفتح مجال الألفة معه. ليبقى الرهان في نهاية المطاف كامن في من تمكّن من ابتكار أسلوبه الخاص، وتفجير طاقات الإبداع أثناء التواجد داخل النصوص الدريدية، تماما كما فعل محمد شوقي الزين مع التفكيك أثناء إزاحة صفيحته ناحية الصفائح الأخرى كالتأويل والعرفان والتصوف.

لا يمكننا مهما حاولنا حصر تأويلات محمد شوقي الزين المتعددة في ورقة بحثية إذ يحتاج ذلك إلى مساحات أرحب وأوسع تفي الرجل حقه، هذا من جانب، ومن جانب آخر اعتماده في تأويلاته لتفكيكات دريدا على معارف وقراءات شتى، تتناسب والتفكيك الأكثر من واحد، والمحتاج إلى أكثر من تأويل، سعى إليه الفيلسوف محمد شوقي الزين. لذلك حاولنا فقط فهم طريقة اشتغاله ومنطق تأويلاته وبعض ملامحها، إلا أننا تمكنا من التأكد من صحة ما قاله دريدا، والمتمثل في كون محمد شوقي الزين فيلسوف من النوعية النادرة.

يمكننا تلخيص بعض النتائج المتوصّل إليها فيما يلي:

– عمل محمد شوقي الزين على قراءة التفكيك بأكثر من عين مما جعل التفكيك على يده يتحول إلى تفكيكات تُستنطق كما تستنطِق النصوص.

– اعتمد في قراءته للتفكيك على ثمار قراءاته المتنوعة، وقد نقله من حيزه الخاص إلى بقاع أخرى كالتأويل والتصوف والعرفان، وأدار حوارات عدة بين دريدا وهانس غيورغ غادامير وميشال دوسارتو إلى جانب الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي.

– قراءة محمد شوقي الزين للأفكار والفلسفات بما فيها فلسفة فيلسوف الهوامش قراءة جذمورية تهتم بالباطن وما يقع تحت الأرض من صلات وترابطات، وهو بذلك دائما يستحضر ثنائية الظاهر والباطن ويحاول استثمارها في التقرّب من المسكوت عنه واستنطاق الفلسفات والنصوص وجعلها تقر بما لم تبح به.

– أثناء مقاربته للتفكيك اختار الزين اللعب بالكلمات، إذ نجده يسعى دوما لقلبها من أجل تفجير الدلالات ونقل التفكيك إلى مواضع أخرى مغايرة.

من المقترحات التي يمكننا تقديمها: التقرب أكثر من دراسات وأبحاث محمد شوقي الزين، واستثمار طريقته في استضافة معارفه وقراءاته السابقة لمقاربة النصوص الفلسفية والعمل على خلق حوارات بين مختلف المعارف والفلسفات مهما بدت متباعدة ومتناقضة لأن الباطن دائما ينطوي على جذور تربط هذا بذاك.

7. قائمة المراجع:

[1] ينظر: جاك دريدا، شهادة جاك دريدا، محمد شوقي الزين باحث وفيلسوف من النوعية النادرة، موقع كوة، 07 أكتوبر 2018، تاريخ الاطلاع: 01 فبراير 2020/https://couua.com

[2] ينظر: محمد شوقي الزين، الذات والآخر، تأمّلات معاصرة في العقل والسياسة والواقع بيروت،الجزائر، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط1، 2012، ص102،101.

[3] ينظر: المرجع نفسه ص 100–105.

[4] ينظر: محمد شوقي الزين، الإزاحة والاحتمال،، *صفائح نقدية في الفلسفة الغربية*. الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2008 ص 9،8.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص9

[6] ينظر: محمد شوقي الزين، الذات والآخر، ص 105.

[7] ينظر: محمد شوقي الزين، الإزاحة والاحتمال، ص 7.

[8] ينظر: محمد شوقي الزين،نقد العقل الثقافي، فلسفة التكوين وفكرة الثقافة، أساسيات نظرية البيلدونغ، الجزائر، مدارج، ج1 ، ط1، 2018ص 558.

[9] ينظر: المرجع نفسه، ص 559.

[10] ينظر: محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر الدار البيضاء، المغرب، و بيروت، لبنان، المركز العربي الثقافي، ، ط1، 2002ص 294.

[11] ينظر: محمد أحمد البنكي، دريدا عربيا، قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005ص 38،37.

[12] ينظر: المرجع السابق، ص 294.

[13] ينظر: محمد شوقي الزين، الذات والآخر، ص 274، 275.

[14] ينظر: المرجع السابق، ص 272–275.

[15] ينظر: محمد شوقي الزين، التفكيك الذي سيء فهمه اللحظات الإحسانية والرواقية والباروكية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، أفريل 2018، تاريخ الاطلاع: 01 فبراير2020.